فالمرء قليل بنفسه كثير بإخوانه وحينما يستفيد من آراء الآخرين فإنه سيقل خطؤه ، ويصل إلي شاطئ السلام ..

لذلك قص علينا القرآن الكريم مثالين ...

الأول : انفرد بالرأي وأهمل القدرات العقلية الأخرى فقاد قومه إلي الهلاك وهو فرعون الذي أعلن عن نظام حكمه ، وأنه حكم الفرد فقط وهو ما يسمي بالنظام الدكتاتوري .....

قال تعالي عن هذا النظام : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ (١) .

فكان جزاؤه .... ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾ (٢) .

﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴾ (٣)

ولو أن فرعون قد أصغي إلي رأي المعارضة " مؤمن آل فرعون " وحكم عقله لسلم من تلك الورطة الشنيعة .

الثاني بلقيس ...

التى أعلنت عن مجلس الشورى عندها وأنه حقيقي وليس شكليا فقط – بقولها :

﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴾ (٤)

---

١ – سورة غافر الآية رقم : (٢٩) .
٢ – سورة القصص الآية رقم : (٤٠) .
٣ – سورة هود الآية رقم : (٩٨) .
٤ – سورة النمل الآية رقم : (٣٢) .

فليس حكمها حكم فرد . وإنما هو حكم يستمد رخاءه وقوته من القاعدة العريضة (أهل الحل والعقد) المعبر عنهم في القرآن بالملأ .

وكانت بركة الشورى عليها وعلى قومها عظيمة إنها أسلمت . وصارت زوجة نبي ملك سيدنا سليمان عليه السلام .

****

٣ – أن غزوة أحد كانت انتصاراً على المنافقين كما كانت غزوة بدر وغيرها انتصاراً على الكافرين ...

لقد كشفت تلك الغزوة المباركة عن ساق النفاق وكشطت عنه لحاءه الذي أخفى على عامة المسلمين خباياه ، حيث إنهم كانوا في غفلة عن حقيقة المنافقين فكشفت عنهم أحداث (أحد) الغطاء ، فصار بصرهم حديداً بعدها ....

فمن المعروف أن عبد الله بن أبي بن سلول كان يقطع له ثياب الملك وينسج له تاج السلطان قبل هجرة الرسول (ﷺ) إليها ، فلما استضاءت بنوره أقبل عامة أهلها على نور الله وتركوا (عبد الله بن أبي) وإخوانه في ظلمات لا يبصرون صم بكم عمي فهم لا يهتدون ...

فسلب محمد منه سلطانا ، وحول التاج إلى سراب ، فصار صدره على الإسلام ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء ....

فكون أهل يثرب أجمعوا عليه ملكا فهذا دليل على مكانته في النفوس ، ولما ظاهر بالإسلام ازداد رصيده من الحب في نفوس المسلمين ....

ولكن الله يكره المخادعين ، ويأبى إلا أن يجعل لخداعهم نهاية ، فكانت آخر حلقة في المسلسل الذي قام ببطولته ابن سلول هي موقفه من غزوة أحد ففي احرج اللحظات أعلن راية العصيان متمرداً على القيادة وانسحب بثلث الجيش

وقال : عصاني وأطاع الولدان ومن لا رأي له وما ندري علام نقتل أنفسنا ؟ إنه عذر أقبح من ذنب .. دل على كفر هذا الرجل ، ولو سكت لكان أهون ..

قال تعالى : ﴿ وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُواْ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَوِ ادْفَعُواْ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاَّتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾ (١) فكونه قد عصي وظاهر في هذا الموطن وتمرد فهذا دليل كفر ...

وكونه قد قال فهذا دليل على ظلمات القلب ، فليس عنده هدف المؤمنين الذين يسعون إليه ويقدمون أنفسهم ثمنا له وهو الجنة ....

﴿ إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾ (٢) .

كذلك تأكد للأنصار أن عبد الله هذا ليس على شيء ، إنما هو من الكاذبين ، فلو كان صادقاً ما فر من الميدان ، وإن التولي يوم الزحف من اكبر الكبائر قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ * وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاء بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (٣)

ولقوله (ﷺ) " اجتنبوا السبع الموبقات ..... " وذكر منها "التولي يوم الزحف " (٤) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

---

١ - سورة آل عمران الآية رقم : (١٦٧) .
٢ - سورة التوبة الآية رقم : (١١) .
٣ - سورة الأنفال : (١٥ - ١٦) .
٤ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري / كتاب الوصايا / باب قول الله تعالى (النساء ١٠) ٥ / ٤٦٢ / برقم ٢٧٦٦ .

وثالثة الأثافي التي جردت النفاق تماماً عن حقيقته ، وزهدت الأنصار في أصحابه رد فعلهم عند علمهم بنتيجة الغزوة إذ أنهم قد تاهوا فرحاً وشماتة في المسلمين .....

قال تعالى :﴿ الَّذِينَ قَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا ﴾ (١)

ولقد حكم الله عليهم – بالكفر الصريح ، وحذر المؤمنين أن يكونوا مثلهم ، فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ اللّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللّهُ يُحْيِـي وَيُمِيتُ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٢) .

المراد بالكفار في الآية : " المنافقون " (٣) .

(والمراد اخوانهم في النسب والمجاورة لا اخوانهم في الدين والعقيدة) (٤) والمفهوم العام للآية: " تحذير للمؤمنين أن يتشبهوا بالمنافقين الذين قالوا لاخوانهم يعني في النفاق أو في النسب في السرايا التي بعث النبي (ﷺ) إلي بئر معونة (لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا) فنهي المسلمون أن يقولوا مثل قولهم) (٥).

ويقول الأستاذ البوطي في فقه السيرة : " وأخذ اليهود والمنافقون يظهرون الشماتة بالمسلمين ، وراح عبد الله بن أبي بن سلول يقول هو وأصحابه للمسلمين ... ولو أطاعونا ما قتل منكم من قتل وأخذوا يتساءلون عن النصر الذي كانوا يتوهمونه مع رسول الله (ﷺ) فأنزل الله تعالي آيات من سورة آل عمران تعليقاً

---

١ - سورة آل عمران الآية رقم : (١٦٨) .
٢ - سورة آل عمران الآية رقم : (١٥٦) .
٣ - تفسير القرطبي ٢ / ١٥٨ .
٤ - انظر مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازي المجلد الخامس ص (٤٤) .
٥ - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي الجزء الرابع ص (١٥٨) بتصرف .

على إرجاف اليهود والمنافقين ، وبياناً لحكمة ما حصل في غزوة أحد " ١٢١ – ١٦٨ (١) لقد كان رد فعل المنافقين هذا ثمرة طبيعية لنفاقهم ما كانت لتفوح روائحها الكريهة إلا بأحداث غزوة أحد ليضع الله حداً فاصلاً بين المنافقين والمؤمنين ، وليقطع الله النفوس المسلمة – خاصة الأنصار – عن التعلق بعبد الله بن أبي وأمثاله ...

وبهذا كان يوم أحد يوم فرقان للحقيقة فصارت في رابعة النهار ، ولتحقق سنة الله في المجتمع المسلم ، لهذا قال تعالى بعد الحديث عن هذه الغزوة ...

﴿ مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ ﴾ (٢) . ولكن يظهره الله وفق إرادته لتتم حكمته .

****

٤ – إن المؤمنين لم ينتصروا في أي معركة قد دخلوها بكثرة عددهم وبأس عتادهم

بل كانت كثرة العدو وقوته هي الأظهر ، وكانوا يحصدون النصر حصداً ، والسبب في ذلك إنما هو طاعتهم لله وحسن توكلهم عليه ...

وفي غزوة أحد هذه كان عددهم " ٧٠٠ " وعدد المشركين " ٣٠٠٠ "

---

١ – انظر فقه السيرة للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ٢ / ١٨٨ / دار الفكر الطبعة السابعة .

٢ – سورة آل عمران الآية رقم : (١٧٩) .

أي يكون أقل من الثلث ، ومع ذلك بكر الله لهم بالنصر ، وولي المشركون الأدبار حتى إن لواءهم قد سقط على الأرض ولم يجد من يرفعه ... وعلا صوت خلاخيل نسائهم بعد أن سكنت سيوفهم وارتفعت ولولة النساء بعد أن كن ينشدن ليحشدن الطاقات والهمم ....

ويها بني عبد الدار ويها حماة الادبار

ونزل قول الله تعالي : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ ﴾

ولقد نصرهم الله مرة أخري في نهاية المعركة (كما نصرهم في بدايتها) حين استجابوا الله وللرسول وخرجوا عند حمراء الأسد أسودا يتلمظون على المشركين فلم يجرؤ النعاج من أسود الله حينما استجابوا لله وللرسول ﴿ فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ " آل عمران : ١٧٤ " .

****

٥ – دور المرأة في المعركة

والمراد بذلك دور المرأة في معسكر الكفر ، وفي معسكر الإيمان فأما دورها في معسكر الكفر فقد تمثل في الأتي :

أ – دورهن الخطير في حث المشركين على القتال وقد أخرجن لذلك يقول صاحب الرحيق المختوم : " وقامت نسوة قريش بنصيبهم من المشاركة في المعركة تقودهن هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان ، فكن يتحولن في الصفوف ، ويضربن بالدف ، يستنهضن الرجال ، ويحرضن على القتال ، ويثرن حفائظ الأبطال ويحركن مشاعر أهل الطعان والضراب والنضال ، فتارة يخاطبن أهل اللواء فيقلن :

ويها بني عبد الدار ويها حمارة الأدبار

ضرب بكل بتار

وتارة يأزرن قومهن على القتال وينشدن :

إن تقبلوا نعانق ونفرش النمارق

أو تدبروا نفارق فراق غير وامق (١) .

ب – وطئن موطئا يغيظ رسول الله (ﷺ) والمؤمنين ، فهند بنت عتبة قد عرضت من حليها على (وحشي بن حرب) ما يحفزه إلي قتل حمزة ، حتي إذا قتل قامت إلي بطن حمزة فبقرتها ، وصلمت أذنه ، وبقرت كبده فلم تستطع أن تستسيغها ، فلفظتها واتخذت من الأذن والأنوف خدما (خلاخيل) .

ولما شاهد الرسول (ﷺ) هذا المشهد الرعيب تميز من الغيظ على أخيه رضاعة ، وعمه نسباً ، وتربه صحبة ، وعضده دينا ، وقال : "لن أصاب بمثلك أبداً ، وما وقفت موقفاً قط أغيظ إلي من هذا ، ثم قال :

جاءني جبريل فأخبرني أن حمزة بن عبد المطلب مكتوب في أهل السموات السبع : حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله (٢) .

والمتأمل في حياة الرسول (ﷺ) يجدها حافلة بالمصاعب مترعة بالأحزان لدرجة أنها "الأحزان" كادت لتودي به لولا أن ربط الله على قلبه بقوله تعالي : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ (٣) ، ومر الرسول (ﷺ) بسنوات عجاف سنة أزابت الشحم ، وسنة أكلت اللحم ، وسنة نقت

---

١ – انظر الرحيق المختوم ٣٠٢ – ٣٠٣ .

٢ – انظر ابن هشام المجلد الثاني ص (٧٢) .

٣ – سورة الكهف الآية رقم : (٦) .

العظم ، وسبح الرسول (ﷺ) في عام الحزن ، وابتلي بسفهاء قريش والطائف ... الخ

كل هذا لم يؤثر في رسول الله (ﷺ) مثلما أثر فيه مشهد عمه حمزة فهند ومثيلاتها كن سببا في إدخال الغم على قلب الرسول (ﷺ) .

أما دور المرأة في معسكر الإيمان .. فحدث ولا حرج ....

وحسبك أن تعرف دور أم عمارة الذي ضربها ابن قمئة على عاتقها ضربة تركت جرحاً أجوف ، وظلت تقاتل حتى أصابها اثنا عشر جرحاً .... .

ومن هؤلاء "عائشة" يقول أنس بن مالك رضي الله عنه في جزء من حديث رواه البخاري عنه : ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم وأنهما لمشمرتان أري خدم سوقهما تنقزان القرب على متونهما تفرغانه في أفواه القوم ، ثم ترجعان فتملأنها ثم تجيئان فتفرغانه في أفواه القوم (١) .

ومن هؤلاء " **أم أيمن** لما رأت قلول المسلمين يريدون دخول المدينة ، أخذت تحثوا في وجوههم التراب ، وتقول لبعضهم :

هاك المغزل وهلم سيفك ثم سارعت إلي ساحة القتال (٢) .

من خلال تلك النماذج من معسكر الكفر ومعسكر الإيمان يتبين لنا خطورة دور المرأة في معركة الحياة ...

ولعل السهام الفتاكة التى خرقت للشباب المسلم أخلاقاً غير أخلاقنا خير دليل على هذا ....

---

١ - رقم ٤٠٦٤ من كتاب المغازي ٢٠ .

٢ - الرحيق المختوم ٣٢٥ .

أقصد بتلك السهام النساء اللاتي ينسن من ربهن فبعن أعراضهن بثمن بخس دراهم معدودة لشياطين الإنس من اليهود والمنافقين وغيرهم ليقدمن عروضاً تذهب بألباب الشباب وتغرقه في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذ أخرج يده لم يكد يراها ...

إن اللحم الرخيص المبتذل الذي يغشي بيوتنا من ممثلات وبغايا سواء أكان على شاشة التلفاز أم صفحات الجرائد لهو سبب حقيق لعزوف شبابنا عن حوض الفضيلة وتدنيسه بدنس الرذيلة .

وهذا الانحطاط الخلقي الذي كان سببه المرأة لم يأت عفوا وإنما قصدا وراءه أعداء الإسلام .

ومن هنا ينبغي علينا – معشر المسلمين أن نعني بالمرأة عناية إسلامية تنهض بها نهوضاً طيباً يعود على البشرية بخير ويحقق حضارة سامقة .

****

٦ – خطورة المعصية :

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾

صدقكم الله وعده بكسب الجولة الأولي حتى إذا فشلتم بفتن الدنيا التى وقع فيها جل الرماة إذ خالفوا أمر الرسول (ﷺ) لقد عصفت ريح معصية الرماة بنصر المسلمين العظيم الذي حققوه في جولتهم الأولي مع المشركين بأحد .

يقول فضيلة الشيخ محمد الغزالي : " قد يجد المرء نفسه في حفل يموج بالأنوار ، وتنتشر في أجوائه الأشعة المبصرة ثم يقع خلل مفاجئ بقطع التيار

فإذا المصابيح تعتم ، ثم يسود المكان ظلام موحش سقيم ! إن هذا مثل التحويل المستنكر الذي قلب سير الحوادث في معركة (أحد) لحظة يسيرة من لحظات الضعف الإنساني عرضت لفريق من الجند فأوقعت الارتباك في صفوف الجيش كله ، فضاعت في ساعة نزق "خفة وطيش" كل المكاسب التى أحرزتها الشجاعة النادرة والتضحية البالغة ....

لقد علمت كيف شدد الرسول (ﷺ) على الرماة أن يلزموا أماكنهم صيانة لمؤخرة المسلمين ، وأوصاهم ألا يبرحوها أبداً،ولو رأوا الجيش تتخطفه الطير ؟

غير أن أثارة من حب الدنيا عصفت بهذه الوصاة في ساعة غفلة ، فما أن رأى الرماة الهزيمة حلت بقريش ، والنساء يهمن في الجبل والرجال يولون الأدبار ، والغنائم التى خلفها ثلاثة ألف مشرك تزحم الوادي .. حتى غادروا مواقعهم هابطين إلي الميدان يبغون انتهاب أنصبتهم من الأسلاب والأموال (١) .

﴿ وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (٢) .

إنها أطماع من أراد الدنيا قد حمل وزرها من كان يريد الدنيا ومن كان يريد الآخرة ، فلم ينج من شرها أحد .

لقد دهم الأبطال على حين غفلة منهم وقد ألقوا السلم فما لهم حيلة الآن إلا النجاة من المأزق ليبصروا كيف يبطشون بعباد الحجر أصحاب نسيج العنكبوت ، لكنهم وهم يحاولون شق طريقهم أصيبوا إصابات قاتلة .

واستطاع المشركون أن يخلصوا قريبا من رسول الله (ﷺ) فرماه أحدهم بحجر كسر أنفه ورباعيته ، وشقه في وجهه فأثقله ونفجر منه الدم .

---

١ - فقه السيرة ص (٢٧٤) دار الكتب الإسلامية ط ٨ .

٢ - سورة الأنفال الآية رقم : (٢٥) .

وشاع أن محمداً (ﷺ) قتل فتفرق المسلمون ودخل بعضهم المدينة ، وانطلقت طائفة فوق الجبل واختلطت مع الصحابة أحوالهم فما يدرون كيف يفعلون .

إن أبطال أحد في صدر المعركة لهم هم الآن فما الذي حدث ؟

إنها شؤم المعصية ، والله لا يجامل أحداً من عباده على سننه ولو كانوا أصحاب نبيه المصطفي ورسوله المجتبي (ﷺ) .

قال تعالي:﴿ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾(١)

لقد ذهبت ريح القوم الآن بعد أن طيرت المشركين أمامها منذ قليل ...

إنه درس عظيم فقهه المسلمون أبداً وما كانوا ليفقهوا هذا الدرس بهذه الكيفية لولا هذا الخطأ الجسيم من الرماة .

أدرك المسلمون أن الانتصار لن يتحقق على عدوهم إلا بطاعتهم لله وعدم مخالفتهم لرسوله (ﷺ) .....

﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(٢)

فلم تزل أمة من الأمم من فوق عروشها إلا بمعصيتها لله .....إن الأمة الإسلامية اليوم لهي أغزر قدرات وأكثر أموالا لكنها فقدت ذاتيتها ، واستسلمت لجزاريها ، والسبب في ذلك إنما هو تفشي الجرائم في المجتمعات الإسلامية دون نكير يعادل حجم تلك الجرائم .

---

١ – سورة الأنفال الآية رقم : (٤٦) .

٢ – سورة النور الآية رقم (٦٣) .

ولو أنها أعلنت الحرب على المعاصي لعادت إليها ريحها فسادت الأرض كما سادت قبل ذلك .

٧ – رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه :

من هؤلاء :

أ – أنس بن النضر رضي الله عنه ، الذي وقف موقفاً عظيما يوم أحد " فقد مر بقوم من المسلمين ألقوا أيديهم وانكسرت نفوسهم فقال : ما تنتظرون ؟ قالوا : قتل رسول الله (ﷺ) فقال : وما تصنعون بالحياة بعده ؟! قوموا فموتوا على ما مات عليه ، ثم استقبل المشركين فما زال يقاتلهم حتى قتل (١) .

لقد سجل له التاريخ كلمات من نور قد قالها قبل مقتله ، حيث (استقبله سعد بن مالك فقال ، فوجد في جسده بضعا وثمانين ما بين ضربة وطعنة ورمية .....

فقالت عمتي الربيع بنت النضر : فما عرفت أخي إلا ببنانه ونزلت هذه الآية ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ..... الآية ﴾ (٢) .

ب – حنظلة بن أبي عامر الراهب ، والذي كان حديث عهد بعرس وسمع الهائفة (صيحة الحرب) فخرج مسرعاً متعاليا على الشهوات مضحياً بحظه من هذا النعيم فرارا إلي الله في ساحة الوغي ....

(شد حنظلة ابن أبي عامر على أبي سفيان ، فلما تمكن منه حمل عليه شداد ابن الأسود فقتله ، وكان حنظلة جنبا . فإنه حين سمع الصيحة وهو على

---

١ – فقه السيرة للغزالي ص (٢٧٦ ، ٢٧٥) .

٢ – تفسير القرطبي ص (٧ ، ١٠٤) .

بطن امرأته – قام من فوره إلي الجهاد ، فأخبر رسول الله (ﷺ) إن الملائكة تغسله (١) .

ومن تمام الخبر ما ذكره ابن الجوزي – رحمه الله تعالي – : –

"وتزوج حنظلة جميلة بنت عبد الله بن أبي بن سلول ، فأدخلت في الليلة التى صبيحتها كان قتال أحد ، وكان قد استأذن رسول الله (ﷺ) أن يبيت عندها فأذن له . فلما صلي الصبح غدا يريد رسول الله (ﷺ) ثم مال إلي جميلة فأجنب منها . وكانت قد أرسلت إلي أربعة من قومها فأشهدتهم أنه دخل بها . فقيل لها في ذلك ، فقالت : رأيت كما السماء قد فرجت له ، فدخل فيها ، ثم أطبقت فقالت هذه الشهادة ، وعلقت بعبد الله بن حنظلة . وأخذ حنظلة سلاحه ، فلحق بالنبي (ﷺ) وهو يسوى الصفوف ، فلما انكشف المسلمون اعترض حنظلة لأبي سفيان فضرب عرقوب فرسه فوقع أبو سفيان ، فحمل رجل منهم على حنظلة فأنفذه بالرمح ، فقال رسول الله (ﷺ) :– إني رأيت الملائكة تغسل حنظلة بن أبي عامر بين السماء والأرض بماء المزن في صحاف الفضة"

قال أبو أسيد الساعدي : فذهبنا فنظرنا إليه ، فإذا رأسه يقطر ماء فرجعت إلي رسول الله (ﷺ) فأخبرته أنه خرج وهو جنب . فولده يقال لهم : "بنو غسيل الملائكة"

(ومن عجائب الأمور أن أبا عامر الراهب مر بابن الشهيد حنظلة وهو مجتدل بين الشهداء ، فركله برجله في تشف وقسوة ، وكأنه ليس ابنه ، .. وقال له : ذنبان أصبتهما ، ولقد نهيتك عن مصرعك هذا ، ولقد كنت والله وصولا للرحم) (٢) .

---

١ – مختصر سيرة الرسول (ﷺ) للشيخ محمد بن عبد الوهاب ص (١٠) .

٢ – غزوة أحد / محمد أحمد باشميل ص ١٤٨ ، ١٤٩ .

ولا يضير هذا العملاق ما فعله به هذا القزم وإن كان أباه ، فحسبه تكريم الله له بما رأينا ، وتكريم عظماء التاريخ له في ذريته من بعده ،

وقبل أن نعلق على موقف حنظلة لابد أن نشير بجلاء إلي موقف زوجة الفريد الذي تعلقت به بعد أن رأت شهادته في المنام (فالمظنون في مثل هذه الحال أن تحاول الابتعاد عنه حتي لا تحمل منه فتكون بعد ذلك غير حظية لدي الخطاب ، لكنها حرصت أن تحظي بولد منه ليكون ولد الشهيد ولقد حصل ما تمنت فرزقت بعبد الله ، وكان يفتخر بقوله : "أنا ابن غسيل الملائكة" (١) .

وكونها شهد ذويها على هذا فهو حرصها على طهارة سمعتها لتقطع دابر الشيطان بعلم أهلها بحملها من زوجها الشهيد .

ولا شك أن حنظلة – رضي الله عنه – بموقفة العظيم ، حديث عهد بعرس على بطن امرأته ، وهي لحظة ليس من اليسير على الرجل الفتي أن ينزع نفسه منها ، فكون الإنسان يكون في هذه الغاية من الاستغراق وينزع نفسه حتى لا ينتظر أن يغتسل فهذا دليل على عظيم الإيمان في هذه النفوس الطيبة إن حنظلة – رضي الله عنه – يمثل جيل الصحابة الذي استوعب الخطاب القرآني :

﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (٢) .

لقد استحق هذا الصحابي الجليل "حنظلة" أن يكون مفخرة عبر التاريخ

---

١ – السيرة النبوية د / علي الصلابي ٢ / ١٣٠ بتصرف .

٢ – سورة التوبة الآية رقم : (٢٤) .

فقد أخرج أبو يعلي والبزار والطبري – ورجالهم رجال الصحيح كما قال الهيثمي عن أنس رضي الله عنه قال : "افتخر الحيان من الأوس والخزرج ..(١)

فقالت الأوس : منا غسيل الملائكة حنظلة بن أبي عامر الراهب ومنا من اهتز له العرش سعد بن معاذ ، ومنا من حمته الدبر ، عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح ، ومنا من أجيزت شهادته بشهادة رجلين خزيمة بن ثابت – رضوان الله عليهم أجمعين .

وقالت الخزرجيون : منا أربعة جمعوا القرآن على عهد رسول الله (ﷺ) لم يجمعه غيرهم

زيد بن ثابت وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وأبو زيد رضي الله عنهم .

هذا ما قدمه السلف من تضحيات في سبيل دينهم فماذا نحن جيل الخلف ؟

إن الإسلام يحتاج منا إلي بذل الجهد ، والترفع عن الإسراف في الشهوات المباحة ، والانتهاء التام عن كل شهوة أثمة تغضب الجبار كل وعلا .

والذي يلفت النظر أيضا في تلك القصة هو أن الموت تحرك في حنايا أبي سفيان وأوشك أن يسلمه إلي القبر مشركاً ، ولكن قدر الله أعجب .....

إذ يخطئ الموت طريق أبي سفيان ليصيب حنظلة ليسلمه إلي أيدي الملائكة مغسلين ثم يرتفع بعد ذلك إلي أعلي عليين ... وينقذ أبا سفيان من الموت لينقذ من الشرك بعد ذلك ويلقي ربه في عداد الصحابة ليكون وحنظلة في الجنة جنبا إلي جنب ، بعد هذا الفرق العجيب في الدنيا .

---

١ – انظر كتاب : حياة الصحابة للكاندهلوى / ١ / ٣٧٠ مكتبة النور الإسلامية .

ج – عمرو بن الجموح خرج يوم أحد فمنعه بنوه وقالوا : قد عذرك الله . فأتي النبي (ﷺ) فقال " إن بني يريدون أن يحبسوني عن الخروج معك ، والله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة .

فقال رسول الله (ﷺ) : أما أنت فقد عذرك الله ولا جهاد عليك ، ثم قال لبنيه : لا عليكم أن تمنعوه لعل الله عز وجل يرزقه الشهادة فخلوا عنه . فخرج وهو يدعو ربه : اللهم لا تردني إلي أهل حزبي ، ولقد استجاب الله له وكافاه بشرف الشهادة .

وأراد الله عز وجل أن يجعل لهذا الرجل كرامة دنيوية يعرف بها ....

" فعن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعه أنه بلغه أن عمرو بن الجموح ، وعبد الله بن حرام الأنصاريين كان السيل قد خرب قبرهما ، وكانا في قبر واحد ، وهما ممن استشهد يوم أحد ، فحفر عنهما (ليغيرا) من مكانهما ، فوجدا لم يتغيرا كأنما مات أمس وكان أحدهما قد جرح فوضع يده على جرحه فدفن كذلك ، فأميطت يده عن جرحه ثم أرسلت كما كانت ، وكان بين أحد ويوم حفر عنهما ست وأربعون سنة رضي الله عنهما (١) .

ست وأربعون سنة ولا يزال الجسد الطاهر طريا كأنه دفن أمس !!

إن هذا الصحابي الجليل يمثل جيل الصحابة رضي الله عنهم الذين امتثلوا قوله تعالي :﴿ انْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢)

انفروا خفافا وثقالا ... شبابا وشيوخا

---

١ – صفة الصفوة ١ / ٢٠٧

١ – سورة التوبة الآية رقم : (٤١) .

إن عمرو بن الجموح رضي الله عنه لهو حجة الله على عباده الذين قيل لهم انفروا في سبيل الله فاثاقلوا إلى الأرض ...

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ ﴾ (١)

فبالرغم من أن الله تعالي قد عذره وأمثاله ﴿ لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴾ (٢)

إلا أن هذا الجيل جيل ترفع فوق سحائب الأعذار ، لأن عقيدته ضربت بجذورها في الأرض وشمخت بفروعها في السماء ، فليرتقوا بالأسباب وبغير الأسباب ، ولينفذوا من أقطار السماوات والأرض بسلطان وبغير سلطان .

إن حالة عمرو بن الجموح تلك لم تكن حالة فريدة بل هي سمة جيل العقيدة في كل زمان ومكان .... (قرأ أبو طلحة - رضي الله عنه - سورة براءة ، فأتي على هذه الآية ، فقال : أري ربنا استنفرنا شيوخاً وشباباً ... جهزوني يا بني ، فقال بنوه : يرحمك الله فقد غزوت مع رسول الله (ﷺ) حتى مات ، ومع أبي بكر حتى مات ، ومع عمر حتى مات ، فنحن نغزو عنك ، فأبي فركب البحر فمات ، فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه فيها إلا بعد تسعة أيام ، فلم يتغير ، فدفنوه بها ...

وروي ابن جرير بإسناده عن حيان بن زيد الشرعي ، قال : نفرنا مع صفوان بن عمرو وكان واليا على حمص قبل الأقسوس إلي الجراجمة فرأيت شيخاً كبيرا هما ، قد سقط حاجباه على عينيه من أهل دمشق على راحلته فيمن أغار ، فأقبلت إليه فقلت :

---

١ - سورة التوبة الآية رقم : (٣٨) .

٢ - سورة النور : (٦١) والفتح : (١٧) .

يا عم لقد أعذر الله إليك . قال : فرفع حاجبيه فقال يا ابن أخي استفرنا الله خفافا وثقالا . ألا إنه من يحبه الله يبتليه ثم يعيده فيبقيه ، وإنما يبتلي الله من عباده من شكر وصبر وذكر ولم يعبد إلا الله عز وجل وبمثل هذا الجد في اخذ كلمات الله انطلق الإسلام في الأرض يخرج الناس من عبادة العباد إلي عبادة الله وحده ، وتمت تلك الخارقة في تلك الفتوح التحريرية الفريدة (١) .

وفي العصر الحديث كان الفاضل عمر المختار ، والشيخ أحمد ياسين الذي شلت أطرافه وبعض حواسه ، لكنه بنور العقيدة حرك أهل فلسطين منتفضين على أبناء القردة والخنازير والفئران فألقي الله الرعب في قلوبهم ببركة تلك الانتفاضة الميمونة المباركة .

إن عمرو بن الجموح كان من الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه يوم أحد لهذا جعل الله له كرامة أن حرم على الأرض أن تأكل جسده ..

" هذه صور للرجولة الفارعة التى اصطدم بها الكفر أول المعركة وآخرها فماد أمامها ، واضطربت من تحت أقدامه الأرض ، فما ربح شيئاً في بداية القتال ، ولا انتفع بما ربح آخره " (٢) .

****

٨ – العبرة بالخواتيم

من خلال تفقدنا لقطني أحد وجدنا من بينهم ثلاثة كان أمرهم عجبا .

مخيريق – قزمان – الأصيرم ، فإليك خبرهم لنأخذ العبرة والعظة من وراء ذلك

---

١ – تفسير الظلال ٣ / ١٦٥٧ .

٢ – فقه السيرة للغزالي ٢٨١ .

فأما مخيريق ....

فـ (كان أحد بني ثعلبة بن الفطيون ، قال : لما كان يوم أحد ، قال : يا معشر يهود : والله لقد علمتم أن نصر محمد عليكم حق ، قالوا : إن اليوم السبت . قال : لا سبت لكم . فأخذ سيفه وعدته ، وقال : إن أصبت فمالي لمحمد يصنع فيه ما شاء ثم غدا إلي رسول الله (ﷺ) فقاتل معه حتى قتل ، فقال (ﷺ) : فيما بلغنا " مخيريق خير يهود ")

وأما قزمان ...

فقد (قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر قتادة ، قال : كان فينا رجل أتي لا يدري ممن هو ؟ يقال له : قزمان ، وكان رسول الله (ﷺ) يقول إذا ذكر له : إنه لمن أهل النار ، قال : فلما كان يوم أحد قاتل قتالا شديداً ، فقتل وحده ثمانية أو سبعة من المشركين ، وكان ذا بأس فأثبتته الجراحة ، فاحتمل إلي دار بني ظفر ، فجعل رجال من المسلمين يقولون له : والله لقد أبليت اليوم يا قزمان فأبشر .

قال : بماذا ابشر ؟ فوالله إن قاتلت إلا على أحساب قومي ولولا ذلك ما ما قاتلت .

قال : فلما اشتدت عليه جراحته أخذ سهما من كنانته فقتل به نفسه

وأما ثالثهم ... الأصيرم ...

فقد كان أبو هريرة رضي الله عنه يقول عنه : (حدثوني عن رجل دخل الجنة لم يصل قط ، فاذا لم يعرفه الناس سألوه من هو ؟ فيقول : أصيرم من بني الأشهل عمرو بن ثابت بن وقش ... وكان يأبى الإسلام على قومه . فلما كان يوم خرج رسول الله (ﷺ) إلي أحد ، بدا له في الإسلام فأسلم ثم أخذ سيفه ، فغدا حتى دخل في عرض الناس ، فقاتل حتي أثبتته الجراحة .

فبينا رجال من بني عبد الأشهل يلتمسون قتلاهم في المعركة ، إذا هم به ، قالوا : والله أن هذا للأصيرم ما جاء به ؟! لقد تركناه وأنه لمنكر لهذا الحديث ، فسألوه ما جاء بك يا عمرو ؟ أحدب على قومك أم رغبة في الإسلام ؟ قال : بل رغبة في الإسلام آمنت بالله وبرسوله وأسلمت ثم أخذت سيفي فغدوت مع رسول الله (ﷺ) ثم قاتلت حتى أصابني ما أصابني ، ثم لم يلبث أن مات في أيديهم . فذكروا ذلك لرسول الله (ﷺ) فقال : إنه لمن أهل الجنة !!

إن هؤلاء القتلى الثلاثة يجسدون أمامنا العديد من المفاهيم الإيمانية

أ – إذا كان اليهود شر عباد الله على الإطلاق دينا وخلقاً وإنسانية فإن لكل قاعدة شواذاً وكان من شواذ هذه القاعدة مخيريق ، وكان به بقية من خلق الوفاء للعهد الذي بينهم وبين رسول الله (ﷺ) وكان من قبل على يهودية (١) ولم يشأ أن يخلعها فقاتل تحت ظلالها ومات متمسكاً بها، فنال مكافأته من الرسول (ﷺ) مخيريق خير يهود لأن في الإسلام لا يضيع فيه إحسان ولو كان مثقال الذر .

فنال حسنة الدنيا وزحزح عن حسنة الآخرة لأن سنن الله لا تتخلف ﴿ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ (٢)

إن الإسلام الذي تحزبت البشرية كلها صفا واحدا ضده اليوم لهو الإسلام الذي سيتمنونه جميعاً يوم القيامة قال تعالى : ﴿ الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ

---

١ – ولقد رجح الدكتور على الصلابي في كتابة السيرة النبوية ٢ / ١٣٦ إنه مات مسلما نقلاً عن بعض أعلام الإسلام – الذهبي في التجريد وابن حجر في الإصابة والسهيلي في الروض الأنف .

٢ – سورة المائدة الآية رقم : (٧٣) .

مُبِينٍ * رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ * ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

من هنا لابد أن نستشعر قيمة هذه النعمة ، نعمة الإسلام فنشكر الله عليها بالانغماس فيها ، والتمتع بطيباتها ، ولا نحرم منها أنفسنا فنضل ونشقي ... .

ولا بد للدعاة إلي الله تعالي أن يعتزوا بالإسلام فهم به ، وليس هو بهم . فيجاهدوا بالإسلام من أجل الإسلام ، ويستشعروا قول الله تعالي : ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ (٢) .

ب – إن الله اغني الأغنياء عن الشرك فمن عمل عملاً أشرك فيه مع الله غيره تركه وشركه ...

وقزمان قد خرج من أجل القومية لا من أجل الإسلام فقد رفع وضيعا وآثره على رفيع من أجل ذلك جاءته البشري العاجلة أنه من أصحاب النار

إن مصير قزمان هو حكم الله الدامغ على عملاء القومية الذين اشقوا الأمة المسلمة بعمالتهم للغرب ، وأرادوا سلخ المسلمين تحت هذا المسمي الزائف من الإسلام .....

وبدهي أن تتظاهر شتي القوي في هذا الميدان ، الوجودية والشيوعية ، والصليبية ، والصهيونية ، والبوذية ، والطوارانية ... الخ .

هذه النزعات التى تسخر عشرات الأقلام والألسنة فتجعل العرب يصدقون هذه الخرافة ويتصورون العروبة شيئاً أخر لا صلة له من قريب أو بعيد بالإسلام ....

---

١ – سورة الحجر الآية رقم : (١ – ٣)

٢ – سورة محمد من الآية رقم : (٣٨) .

المراد باختصار أن يرتد العرب عن الإسلام ، سواء كان هذا جزءا من مفهوم العروبة أو شيئاً آخر غيرها ، ولكنها ترتبط به ويرتبط بها (١) .

وسواء أكانت القومية العربية أو الآشورية أو البابلية أو الفارسية .. الخ

فإنها ثياب بالية أراد هؤلاء إعادة ترقيعها لتعرية الأمة الإسلامية من نسيجها المحكم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ...

لذلك وجدنا كل تلك النعرات تلاشت كما تلاشي خوار عجل السامري ، وذهب أصحابها في مزبلة التاريخ كما ذهب السامري .... .

ويبقي المد الإسلامي في الصعود وفرض نفسه على الواقع بخصائصه مؤذنا أن (إن المستقبل القريب لهذا الدين) .

فما على الدعاة إلي الله تعالي إلا أن يعلنوا كما أعلن عمر :

أبي الإسلام لا أبالي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم

ج - ونأتي إلي مسك الختام - الاصيرم

كان يجادل قومه في الحق بعد ما تبين لهم وظل علىٰ هذا بقية عمره فلما شرح الله صدره للإسلام وتبين له أنه الحق من ربه لم يشأ أن يضيع فرصة سنحت له فأغتنمها ، فجاءته المكافأة العظيمة وهي الشهادة تبتغي إليه ....

ليظل هذا الحدث معلماً إيمانيا في نفس كل مسلم أن الهدي هدي الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ....

هذا المعلم الإيماني حرص الصحابة على استشعاره دائماً فكانوا يرددون..

---

١ - الشيخ محمد الغزالي من كتابه : حقيقة القومية العربية وأسطورة البعث العربي ص (١٤٠) .

والله لولا الله ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا
وثبت الاقدام إن لا قينا
وإن أرادوا فتنة أبينا

ومن هنا كان " لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الدنيا "

(يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم) (١)

فائدة :

يقول رسول الله (ﷺ) : " إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ....

وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتي ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها " (٢)

إن خاتمة الإنسان كما هي فضل من الله تعالي إلا أن للإنسان دخلا فيها

فمن كانت همته في طاعة الله وفي مرضاته ، مستشعرا قول الله تعالي :
﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾ (٣)

فهذا قد ضمن الله له حسن الخاتمة

---

١ - رواه مسلم عن أبي ذر .

٢ - البخاري ومسلم وأصحاب السنن الأربعة عن ابن مسعود انظر صحيح الجامع الصحيح ١٥٤٣ .

٣ - سورة المؤمنون الآية رقم : (٦٠) .

ومن لم تكن الآخرة نصب عينيه ، ولا الموت عبرة بين يديه فليحذر سوء الخاتمة .....

يقول ابن القيم : " وهو أن يخونه قلبه ولسانه عند الاحتضار والانتقال إلي الله تعالي ، فربما تعذر عليه النطق بالشهادة ، كما شاهد كثيراً من المحتضرين أصابهم ذلك ، حتي قيل لبعضهم :

قل "لا إله إلا الله" قال لا أستطيع أن أقولها ....

وقيل لآخر " قل "لا إله إلا الله" فجعل يهذي بالغناء ويقول : تائنا تتنتي حتي قضي

وقيل لآخر ذلك فقال : ما ينفعني ما تقول ولم أدع معصية إلا ركبتها ثم قضى ولم يقلها (١) .

٩ – الكيس من اتخذ من عامل خيبته في أمسه عامل نجاحه في غده ...

وهذا موقف تربوى تتعلمه البشرية من غزوة أحد خاصة من قتل حمزة على يد وحشي فقد أخرج البخاري بسنده المتصل عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمرى قال :

(خرجت مع عبد الله بن عدي بن النجار ، فلما قدمنا حمص قال لي عبيد الله بن عدى :

هل لك في وحشى نسأله عن قتل حمزة ؟

---

١ – انظر ابن القيم – الداء والدواء ص (١٢٤) بتصرف .

قلت : نعم وكان وحشي يسكن حمص ، فسألنا عنه ، فقيل لنا هو ذاك في ظل قصره كأنه حميت (أي زق كبير) قال : فجئنا حتى وقفنا عليه بيسير ، فسلمنا فرد السلام ، قال وعبيد الله معتجر بعمامته ما يري وحشي إلا عينيه ورجليه ، فقال : يا وحشي أتعرفني ؟

قال : فنظر إليه ثم قال : لا والله ، إلا أني أعلم أن عدي بن النجار تزوج امرأة يقال لها : أم قتال بنت أبي العيص ، فولدت له غلاماً بمكة فكنت أسترضع له ، فحملت ذلك الغلام مع أمه فناولتها إياه ، فكأني نظرت إلي قدميك ، قال : فكشف عبيد الله عن وجهه ثم قال : ألا تخبرنا بقتل حمزة ؟

قال : نعم . إن حمزة قتل طعيمة بن عدي بن النجار ببدر فقال لي مولاي : جبير بن مطعم : إن قتلت حمزة بعمي فأنت حر .

قال : فلما خرج الناس عام عينين – وعينين جبل بجبال أحد بينه وبينه واد – خرجت مع الناس إلي القتال ، فلما اصطفوا للقتال خرج سباع فقال :

هل من مبارز ؟

قال : فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب فقال : يا سباع يا ابن أم أنمار مقطعة البظور ، أتحاد الله ورسوله (ﷺ) ؟

قال ثم شد عليه فكان أمس الذاهب

قال وكمنت لحمزة تحت صخرة ، فلما دنا مني رميته بحربتي فأضعها في ثنته حتى خرجت من بين وركيه ، قال فكان ذلك العهد به فلما رجع الناس رجعت معهم فأقمت بمكة حتى فشي فيها الإسلام .

ثم خرجت إلي الطائف ، فأرسلوا إلي رسول الله (ﷺ) رسلا فقال لي أنه لا يهيج الرسل ، قال : فخرجت معهم حتى قدمت على رسول الله (ﷺ) ، فلما رآني قال : أنت وحشي قال : أنت وحشي ؟ قلت نعم ، قال : أنت قتلت حمزة ؟ قلت : قد كان من الأمر ما بلغك . قال : فهل تستطيع أن تغيب وجهك عني ؟

قال : فخرجت . فلما قبض رسول الله (ﷺ) فخرج مسيلمة الكذاب قلت لأخرجن إلي مسيلمة لعلي أقتله فأكافئ به حمزة فخرجت مع الناس فكان من امره ما كان قال : فإذا رجل قائم في ثلمة جدار كأنه جمل أورق ثائر الرأس ، فقال : فرميته بحربتي ، فأضعها في ثدييه حتى خرجت من بين كتفيه ، قال : ووثب رجل من الأنصار فضربه على هامته " .

قال : قال عبد الله بن الفضل : فأخبرني سليمان بن يسار أنه سمع عبد الله بن عمر يقول :

" فقالت جارية على ظهر بيت : وأمير المؤمنين قتله العبد الأسود (١) وأمير المؤمنين تقصد مسيلمة الكذاب .

لا شك أن مقتل حمزة كان مؤلما وجرحا في نفس الأمة ، وانتشار فتنه مسيلمة كان جرحاً أكبر ، فما كان يكافأ جرح حمزة في النفس إلا بوأد فتنة مسيلمة الكذاب ...

وما كان يذهب سيئة قتل حمزة إلا حسنة قتل مسيلمة فأعد وحشي للأمر عدته واخلص في معسكر الإسلام فقتل رأس الكفر كما أخلص يوماً في جيش الكفر فقتل رأساً من رؤس الإسلام إنه التفكير السديد الذي يكون به التكفير عن الذنب الشديد ، وإن كان الإسلام يجب ما قبله ، ولكن لابد من تقديم برهان صدق التوبة والإنابة وهذا ما فعله وحشي ...

إن الإنسان قد يقترف في حياته ذنبا عظيماً يري أن الهلاك به حليفه فيظل في أسره حتى الممات ، ولو أنه استفاد من هذا الحدث العظيم وقام من بئره الذي سقط الذي فيه ، ومن واديه السحيق الذي هوي فيه ، ففكر بعين البصيرة في عمل عظيم يكافئ به عظيم ذنبه لاستراح فؤاده ولا نطلق في بناء المجد حتى يصير عظيما من عظماء التاريخ ....

---

١ - فتح الباري مجلد ٧ ص (٤٢٤ - ٤٢٥) رقم ٤٠٧٢ .